واجبات الزوج

اقترحت احدى المجلات العربية كتابة مقالة تجمع اهمّ واجبات الزوج واضمنها لسعادة الحياة البيتية فتنبه مني الخاطر للبحث في هذا الموضوع المفيد الذي قلّ ان يبالي بهِ الشاب متى اقدم على الزواج لانهُ في تلك الحال يتصور نفسهُ كمن قطع مرحلةً من الحياة ثم انتهى بهِ المسير عند حديقة نضرة ذات ازهار واثمار لا يلزمهُ للتمتع بها واستنشاق زكي عرفها سوى متابعة المسير بين جنباتها ومدّ اليد لاجتناء طيّباتها . فيدخلها آمناً ويلهو حيناً بمظاهرها البديعة حتى اذا توسطها رأى فيها من الادغال والاشواك ما يدمي الجَنان فضلاً عن البنان ويحبب اليهِ الفرار من ذلك المكان . ولكن أنّى لهُ الهرب وقد التفّ من حولهِ عوسج البنين فامتصوا دماءهُ ومزقوا اديمهُ فيجلس بينهم حائراً مبتئساً ينظر تارةً حولهُ وطوراً الى العلاء فيجد فوقهُ تلك الاغصان التي كانت قبلاً مجلبةً لظل الهناء قد نبتت حولها فروع الهموم فاشتبك بعضها ببعض وحجبت عنهُ نسيم الحرية وانوار المسرات

ثم يرى الى جانبهِ تلك الزهرة التي طالما منّى النفس ان يستنشق منها شذا انفاس الحب ويتمتع بصفو الوداد قد ذبلت اوراقها واستحالت الوانها وذهبت بهجتها وجمال رونقها واصبحت كانها قطعةٌ من الجماد. فينهض كالمأخوذ وهو يقبّح دهرهُ ويذم حظهُ ويشكو تلوُّن النساء ولو انصف لذمّ نفسهُ وما جلب عليها من الويلات باهمالهِ ذلك الروض

وعدم تعهدهِ اياهُ بالاعتنآء والاهتمام ليبقى نضيراً زاهياً تقرُّ بهِ عيناهُ وينتعش بأريجه فؤادهُ. ولقد يظن البعض ان الزوجة وحدها كفيلة بصيانة النعيم المنزلي وذلك لما يرونهُ من شدة علاقتها بالمنزل واختصاصها بهِ وفاتهم انها ليست من الرجل الا بمنزلة الغصن من الشجرة وان الشجرة هي الرجل نفسهُ منهُ تستمدّ نضارتها وعليهِ تتوقف حياة الأُسرة ونعيمها مهما ظهر من بعدهِ عن العلائق المنزلية

فقد جرت العادة ان يزيد الرجل على عرسهِ سنًّا فهو لا بد ان يفوقها اختباراً ودُربةً فضلاً عن انهُ هو الموكل بمعيشتها وتوفير اسباب راحتها وسعادة مستقبلها فيلزم من ذلك ان يكون هو صاحب الاولوية في تدبير معيشتهِ البيتية بل من اهم واجباتهِ تكييفها على شكل ينطبق على مقدرتهِ وذوقهِ مع مراعاة جانب زوجتهِ والسير معها بما يماثل معيشتها السابقة في بيت ابيها . ولذلك وجب على الشاب ان لا يقترن الا بمن هو كفوٌ لها لكي لا يدعها تشعر يوماً بنغص من حياتها الحاضرة او نقص من نعيمها السابق . وان يكون معها بمنزلة والد ومرشد تهتدي بنور نصائحهِ وتأنَس بلطف معاملتهِ ولا سيما وانها قد تركت اسرتها ولزمتهُ فينبغي ان يكون لها هو الاسرة بتمامها بل العالم باجمعهِ والاَّ رأت نفسها ذليلة حقيرة كزنبقة قُطعت عن غصنها لتُلقى على الثرى . ولما كان الزوج يأبى ان يرى زوجتهُ على تلك الحال فعليهِ ان يبدد ضباب هذا الوهم بما يبعثهُ في نفسها دائمًا من حرارة الحب وما يعكسهُ عن مرآة فؤادهِ من انوار الاخلاص وان يجتهد في اقناعها اولاً بانها ليست ضيفةً عندهُ تتوقع

منهُ المثابرة على الاحتفآء بها ولا دخيلةً في منزلهِ يمكن الاستغنآء عنها ولا مليكةً مستقلّة لتستبدّ بآرآئها بل انها شطرٌ منهُ وهي واياهُ واحد . وذلك بان يفتح لهـا قلبهُ ويطلعها على دخائل امرهِ فتزداد ثقتها بهِ وتنصرف افكارها الى ما فيهِ خيرهُ ومصلحتهُ . اما العدوّ الازرق الذي يجب ابعادهُ فهو الغضب الذي اكثر ما يلازم الرجل وهو سوآءٌ كان بحقٍّ ام بغير حقّ فان في نبرات صوتهِ وقسوة الفاظهِ ما يكفي وحدهُ لجرح عواطفها وضياع النتيجة المطلوبة من النصح الذي يتوخاهُ

ولا يخفى ان كثرة اشغال الرجل وعلاقاتهِ الخارجية تجعلهُ ادنى الى التقصير في واجباتهِ البيتية وادعى الى اقلاق راحة امرأتهِ وسلّ سيوف لومها وعتابها على ما يتبع ذلك من النفار والبغضآء . فلاجتناب ذلك عليهِ ان يغمرها بحنانهِ ويبدي لها من التساهل والتسامح فيما يراهُ من تقصيرها في واجباتها المنزلية احياناً ما يحفظ لهُ جميلاً عندها تكافئهُ عليهِ باظهار الرضى والسكوت عن تقصيرهِ

اما الغيرة فانها آفة الراحة والويل للازواج الذين سمحوا لبذورها ان تنبت بينهم فانها لاتلبث ان تنمو وتلتفّ حول ازاهر الحب فتخنقها وتترك فردوس حياتهم قاحلاً لايجتنون منهُ سوى المرارة والالم . فليكن الرجل حازماً وليسلك مع قرينتهِ سبيل الامانة ويمنحهـا من الحرية ما يُظهر لها ثقتهُ التامة بآدابها وبذلك تزيد نفسها كبراً وتشعر ان عليها وحدها تقوم صيانة مقامها وتعزيز منزلتها وبعكس ذلك ما لو رأت ان قيادها في يديهِ وان امر المحافظة عليها منوط بهِ فانها قد تلجأ حينئذٍ الى

خداعهِ والاحتيال في مرضاتهِ شأن الضعيف المستعبد الذي لا يهتم الا بامر النجاة من عقاب حاكمهِ . ولا يُستنتَج من ذلك ان يهمل الرجل امرأتهُ تمرح في ميدان الحياة بلا رقيب بل ان يسهر عليها بقدر امكانهِ ويراقب حركاتها بطرفٍ خفيٍّ فان الضعف من طبع الانسان والحادثات اقوى محكّ على اظهار ذلك الضعف المدفون

اما التقتير فانهُ مدعاة النكد والشقاق فليفتح الرجل جيبهُ لزوجتهِ كما فتح لها قلبهُ ويطلعها على مقدار ثروتهِ كما اطلعها على مقدار حبهِ ثم يتفق واياها على توفير جانب من دخلهِ ويعين لها مبلغاً تنفقهُ على معيشتهما كما يحلو لها دون ان يعارضها في ذلك فانها لا تلبث حينئذٍ ان تشمر عن ساعد الهمة والاقتصاد فتدبر تلك المملكة الصغيرة على افضل ما يكون من النظام والترتيب

هذه امور جوهرية رأيت انها افضل ما يُستعَان بهِ على حفظ الهنآء بين الزوجين وبقي هناك امورٌ اقل اهمية ولكنها لازمة لكمال سعادتهما وصفآء ايامهما . وهي اولاً ان لا يدخل الزوج الى بيتهِ وعلى وجههِ آثار العبوس ودلائل التعب بل يجتهد في ان يطرح عنهُ جميع ما يثقل عليهِ من الافكار المزعجة قبل ان يلج الباب فيحفظ بهجة حياتهِ المنزلية ويعوّد قرينتهُ ان تقابلهُ بالسرور والابتسام . ثانياً ان لا يكثر من حديث الاشغال لديها او الشكوى من معاكسة الاقدار فتنفر من محادثتهِ وتستضعف عزيمتهُ وبدلاً من ذلك ليكن حازماً في اعمالهِ يجتنب الاشغال الخطرة ولو استشف من ورآئها وافر الكسب لان حياتهُ وثروتهُ ليستا

لهُ وحدهُ منذ زواجهِ فينبغي ان يحاذر كثيراً ويجعل خطواتهِ على قدر ساقيهِ فتستقيم امورهُ ولا يبقى ثمة ما يعاتب بهِ دهرهُ

على ان جميع ما ذكر يعود الى امرٍ واحد هو الذي يجب ان يوجّه اليهِ الزوج نظرهُ الا وهو الحب المتبادَل الذي يربط الزوجين ويمنحهما قوة جديدة تمكنهما من اجتياز شقة الحياة على ما فيها من الوعورة والمشاق . فعلى الرجل العاقل ان يسعى ورآء هذه الغاية ولا يألو جهداً في استمالة قلب زوجتهِ في كل زمن وحال لئلا يتناقص حبهُ في فؤادها فتمسي عرضة للكدر والزيغ فان الهوى كالهوآء لا يلبث متى رأى مكاناً خالياً من القلب ان ينفذ اليهِ فليجتهد في ان يكون مالئاً فراغ فؤادها

وقبل ان تصير امًّا عليهِ ان يفهمها ما هي الوالدية واين مكانها من الاسرة وليكن لها مثالاً تستفيد منهُ وعوناً لها على تربية الصغار وتهذيبهم . ومتى اصبح اباً فمن اول واجباتهِ ان ينظر الى قرينتهِ بعين الاحترام لدى صغارهِ وبذلك يعوّدها احترامهُ ايضاً فيشبّ الاولاد على توقيرهما معاً والامتثال لارادتهما

واخيراً يجب ان يكاشف زوجتهُ بكافة اسرار حياتهِ حتى اذا دنت ساعتهُ ومال عليهِ ساقي المنون بكأسهِ واولادهُ بعد صغار لا يقوون على سياسة انفسهم يشرب تلك الكأس مطمئنًّا بان زوجتهُ لا تحتاج الى خلفٍ يدير اعمالهُ ويهتم بصغارهِ بل تقوم باعباء ذلك المنصب الشاق فتكون لهم اباً وامًّا معاً

لبيبة هاشم